فانحططت على كرسى وثير ، واضطجعت وفى مأمولى إذا نمت ألا توقظنى حين تدخل .

وأحسب أن ما يثير الابتسام هنا أحوج الجوانب إلى الشرح وحسن التأتى . وأعتقد أن حذاء المازنى شارك فى التعبير عن منازعة الفردية الضيقة للإنسان ، ومحاولة التسامى على بعض الغرائز المكبوتة ، والافتتان اللاشعورى بالذات . كل أولئك لا مهرب ولا نجاة منه إلا بأن يعرف المرء الآخرين . والحقيقة أن هذا التعرف يعتبر فى نظر المازنى عودا الى الطفولة الخالدة فى نفوسنا ، فالطفولة من هذا الجانب هى الوسيلة الى أن نسمع ونرى غيرنا وقد تميز من ذواتنا . وربما يذكر القارىء فى هذا المقام أن فكرة الصداقة كانت تحتاج الى معاودة الكشف بعد أن بليت فى ضوء براقع الأنانية ، وتوسيع دائرة الذات الفردية ومايشبهها ـ وربما نذكر ما بذله رواد آخرون منهم لطفى السيد وطه حسين والعقاد فى هذا المجال ، وكان لكل واحد أسلوبه فى التفكير . ولكن تآلف النغمات المتمايزة لايعوز القارىء الباحث عن تجديد الشخصية .

ثم عالج المازنى الشعور بالموت وهو أعلى المخاوف شأنا علاجا مفصلا لم يسبق إليه . وكان يصور هذا الشعور أحيانا بابتكار الأحلام . راجع كتابه «عود على بدء» . والتعبير بالحلم يؤدى وظائف لايستطيعها الوعى الظاهر ، فضلا عن أنه يجعل هذا الخوف لعبا ، ويحيل الهواجس الكامنة رؤى لاتخلو من العبث والإضحاك ، ويضع الأقنعة الظريفة على ما لانستطيع أن نواجهه .

رأى المازنى نفسه طفلا يدير الحوار بينه وبين ابنيه . ويسوق فى ذلك تفصيلات متعددة ، ويروى أطرافا من هذه الطفولة المزعومة فى منامه . جعل المازنى الموتى موضوعا للفكاهة فى أماكن كثيرة . ولعلى لا أثقل عليك حين أذكر أن المازنى كان يمشى بين القبور ويسمع حوارا :

استنى لما أكلمك
وأنا مش عاوز أكلمك
آمال عاوز ايه
عاوزة أبص لك كده .. وأنت بوزك شبرين
بوز .. والنبى تبوز .. ضحكة خشنة .